منبر الاجيال الادبية
الحلقة السادسة

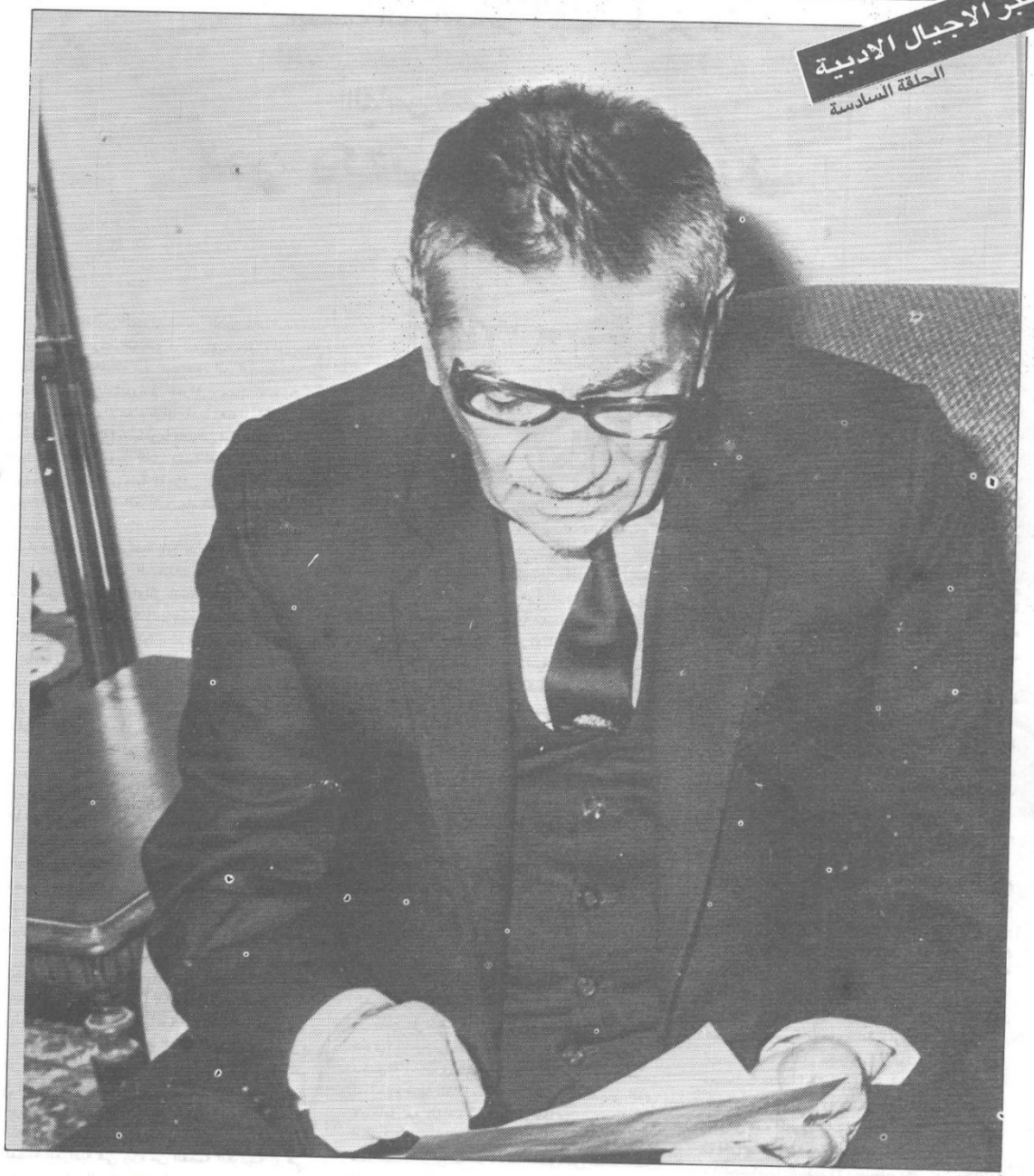

ماالجدوى من برنامج يقدم باسلوب يكرهه الناس..!

المفكر مسعود محمد

في هذا الحوار مع المفكر مسعود محمد ناقشته عن أهميته في الفكر العربي، فكان يحيلني الى كتبه مرة، والى اهمية افكاره في هذا الحوار مرة اخرى، وكان يقول، ان التعريف باية شخصية لا ينبغي ان يكون باسطر قليلة وانما بكامل ابعاده في الفكر والحياة، وهذا يتطلب دراسة واسعة، قلت له إن من مقتضيات الصحافة، الايجاز والتفهيم، فاقتنع برايي، وقال مترجماً شخصيته بايجاز

يقول المفكر مسعود محمد: ـ إن اجمل صيغة أن أنفي وجود مطلق الأهمية لكل مواقفي وكتاباتي على مدى خمسة وثلاثين عاماً وفي ذلك ظلم فاحش يشفع له التواضع فلو سُئل غيري عن أهمية مسعود محمد فجاء جوابه ناقصا أو متحاملا أو متحيزاً كان سهلاً عليّ وضعه في نصابه. ويمكن الخلاص من الحرج بقولي ان الفكر والثقافة في شمولها ذو نطاق عالمي ينقطع دون أبعاد اي اثر لكاتب مثلي لا يقرأه الا واحد من الف من مجموع البشر بفرض ان كل ما يقوله كشف من كشوف الفكر والثقافة، وبخاصة لأن جل ما كتبته حتى الآن كان في الكردية فمن يقرأ الكردية؟ فليكن الجواب عن ميّزة مواقف وكتابات هذا الانسان: فالذي أراه هو اني كنت على علات الأحوال مخلصاً ملتزماً بالصدق مؤمناً بقدسية كل أمر يساعد البشر على أن يعيش بكرامة وكنت ذا رأي عميق الغور بأن الخلافات في ذاتها ليست مستعصية على الحل ولكن الاستعصاء ينبع من النفوس المنتزية والعقول المأفونة التي تحرق الف دينار في الخصومة على دينار واحد.

أما نحن، فنعرف عن مسعود محمد بحسب ما قدمته الوثائق المعاصرة في تاريخ العراق الحديث، من أنه:

١ ـ ولد سنة ١٩١٩، وينتمي الى أسرة كردية علمية في كويسنجق، ولهذه الاسرة امتداد في شمال العراق الى ستة اظهر اخرى وكانوا قبلها ساكنين أرض الجزيرة في سورية ملقبين (گوراني) ولبعض علمائهم ذكر في كتاب (النفس اليماني).

٢ ـ قضى طفولته وما بعدها من أطوار العمر في حياة على حظ ملحوظ من أسباب الاعتزاز جديرة بامتداد مستقبلي، وبعد ان درس الابتدائية والثانوية بين كويسنجق واربيل التحق بكلية الحقوق وتخرج فيها سنة ١٩٤٥ قضى بعدها سبع سنوات في شبه اعتكاف لها دخل كبير في صياغته. فقد انتهى فيها الى قناعات عاشت معه حتى يومه هذا، فانفلقت في داخله بذرة الشك في صواب التحليلات المادية..

٣ ـ عُين حاكماً (قاضياً) في السليمانية سنة ١٩٥٢ قرابة أربعة أشهر انتهت بانتخابه نائباً عن مدينته اول سنة ١٩٥٣ وانتمى الى نواب الجبهة الوطنية وعددهم عشرة وكانوا سبباً في قصر عمر المجلس ذي الجلسة الواحدة والثمانية أيام طولاً.

٤ ـ بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ أسهم في صياغة قانون الاصلاح الزراعي.

٥ ـ نشر سنة ١٩٦٠ مقالات ذات صوت مسموع في جريدة الحرية.

٦ ـ صار وزيراً لأعمار الشمال ١٩٦٤، وكانت الوزارة محنة حقيقية له بسبب ما بينه وبين المستويات السياسية للجهات الفاعلة في المصائر من خلاف

تنازع الايديولوجيات عبر التاريخ من أكبر مصادر الكوارث

جوهري في التقدير، فاستقال سنة ١٩٦٥.

٧ ـ وبعد بيان آذار ١٩٧٠ صار عضواً عاملاً فعضواً متفرغاً ونائباً لرئيس المجمع العلمي الكردي حتى سنة ١٩٧٨ حيث احيل على التقاعد، هكذا هي حياة المفكر مسعود محمد باختصار، وباختصار ايضاً يحدثنا عن آرائه وأفكاره في الحياة الثقافية:

الفكر أم الأدب؟!

○ ودخلنا الى الجدل من بابه الواسعة، ايهما اكثر اسهاماً في تطور المجتمعات: الفكر أم الأدب، كان راي مسعود محمد إنه:

ـ ليس ما يمنع ان يكون الفكر أدبا فاذا انفصل بعضهما عن بعض كان الفكر في حد ذاته اقدر على التوجيه واقرب ثمرا ولكن الادب له خطورة اعتبارية من حيث أنه اكثر رواجا وذو نكهة تهوى اليها القلوب. وعلى قدر التزام الادب بالفكر النير تكون فاعليته في التطوير الى الاحسن. والفصل بين الفكر والادب شيء تعنتي فلا يوجد ادب بلا فكر وان كان متصوراً ان يوجد فكر محض. لقد اصبح الادب وعموم الفنون التي تضطلع برسالة ما من اسلحة النزاعات الفكرية في هذا العصر وخير الاداب والفنون والعقائد ما كان منها مُعينا على اطلاق الفكر من قيوده بوصفه نور الانسانية المبصرة.

مسعود محمد: مراجعة في قناعات قديمة

نقد الفكر الاكاديمي!

○ وجاء الى الفكر الاكاديمي، بسلبياته وايجابياته، قائلاً:

ـ في رأيي ان الفكر ذو طبيعة واحدة ولكن اسلوب عمله ومدى اتساعه ينطبع ويتحدد بالميدان الذي يمارس فيه وقابلية المفكر نفسه. وندر من المواضيع التي يجول فيها الفكر ما كان منقطعاً عن حركة الوجود من حوله، فالاكاديمي والجامعي والمتقاعد لا يرقى الى وصف (المفكر) اذا لم يحظ بقسط كبير من المعارف المتصلة بالحياة والمعاش والمصير وقضايا الانسانية عموما. وليس مطلوبا من الاكاديمي او غيره ان يعرف تفاصيل الكون ولكن ينبغي ان تكون خارطة تصوراته ومجالات فكره ذات مساحات تكفي لاستيعاب ما هو موجود وما هو منتظر وما قد يكون معميات سيفصمها الغد. ليس يسوغ في منطق هذا الوجود الذي هو بحجم المطلق ان يضع المفكر حداً تنتهي عنده حقائق الاشياء الا ما كان منها خاضعاً للبرهان التجريبي الذي يعتبر انكاره اوتجاهله مكابرة مع ملاحظة ما طرأ بعد نسبية انيشتاين من تغير في مدلول المفاهيم المطلقة مستمر في التوسع بعداً وعمقاً، فالكون المنظور اليه في نهاية القرن العشرين مغاير الى حد التضاد في كثير من جوانبه عن الكون الذي كان يراه عالم القرن الماضي وما قبله. المعول عليه في سلامة المنهج الاكاديمي والجامعي والعلمي والفلسفي هو قدرته على الانديا ح باندياح النظر المستكنة لحقائق الوجود بلا تلجلج أو تعسف.

التغير في الايديولوجيا

○ هل ضروري ان يتسلح المفكر بخط ايديولوجي، هكذا كان مدخلنا الى حوار عنوانه: اسباب تغير الايديولوجيا عند المفكرين، اجاب:

ـ إتباع المفكر لخط ايديولوجي هو سبق التزام منه بفكرة مقطوع بصحتها في نظر غيره. والفرق كبير وخطير بين انتهاء الباحث ببراهينه الى فكرة تبدو له صحيحة وبين التزامه بالبرهنة على صحة فكرة (وجد آباءه لها تابعين) فالشخص الذي يقوده برهانه من شأنه ان يرجع عن فكرة يظهر بطلانها ببرهان أقوى أو بتجربة كاشفة ولهذا كان التخلي عن بعض مضامين نظرية نيوتن في الجاذبية اسهل على العلماء من نبذ الوثني لعبادة صنمه. الافكار العلمية لا تنير في المعتاد خصومة ومهارشة ولكن ما كان منها مرتبطا بالايديولوجيا يبعث على المهالك مثل القول بدوران الارض حول الشمس قبل خمسة قرون مضت او تعليل الخسوف والكسوف بغير غلبة العفاريت وحكاية الحوتة والمنحوتة. لقد كان تنازع الايديولوجيات عبر التاريخ من اكبر مصادر الكوارث فالتوقي من غلبتها على الفكر اول خطوة للمفكر في رحلة المليون ميل.

لا شفافية في الادب!

○ انت تطالع الفكر، بتياراته ومذاهبه، فماذا وجدت في تيارات الادب العراقي، يقول مسعود محمد:

ـ يلاحظ على الادب العراقي المعاصر تراخيه في التشرب باسباب الرقة والشفافية بقياسه الى الادب المصري مثلا، ويكاد الفارق، بينهما في هذا الباب يبلغ الفارق بين اشرافة اللفظ القاهري وبيس الاداء العراقي ولك ان

تقول مثل ذلك في الترتيل والغناء وصنوف الفن حتى نخاع النكتة في البلدين.. لقد فكرت كثيراً وطويلا في طريقة لاختزال المسافة بين الحالتين فانتهيت الى الاقتناع باستحالة البدء بها قبل تقبلها ابتداءً من قبل المثقفين من اهل العلم والادب والمهارات في شتى ميادينها ودون ذلك خرط القتاد!

○ والثقافة العراقية هل تجد فيها نواقص..؟

ـ ما كان من النواقص متصلا بالثقافة المدرسية لا يمكن علاجه بمثل هذا الكلام العابر فلابد من الركون فيه الى تمكين عدد من كبار المثقفين من غربلة المناهج الرسمية حتى تكون منسجمة مع الروح العصرية السمحة.

اما الثقافة خارج نطاقها الرسمي فالشرط الاول لنمائها هو تخفيف موانعها الى اقصى حد وتوسيع الباب للتزود من ثقافة الغرب بكل اتجاهاتها والكف عن التعامل مع المثقف العراقي على انه طفل في طور الحضانة، ويااليت ان نفراً من المتعلمين الذين نصبوا انفسهم رقباء على الثقافة والمثقفين تركوا هذا العناء الثقيل على ضمائرهم.

○ والمجمع العلمي العراقي هل تشهد حركته..؟

ـ أرى انه في ركود وافضل توجيه السؤال الى رئيس المجمع نفسه ورئيس الهيأة الكردية ورئيس الهيأة السريانية كل في مجاله. وربما كانت السريانية انشط الثلاثة في حدود امكاناتها. ولا انسى ان تقدم للمجمع ولجميع المثقفين ومقدري الفضيلة والكرامة باعمق مشاعر التفجع في رحيل الدكتور احمد عبدالستار الجواري. اني اتمثل غول الفناء قد وسع شدقيه الى اخر مداه كي يستطيع ابتلاع جبل من اكرم المعاني واتمثل قوة الحياة الفاضلة نازعته عليه ولكنا وجدنا الشمس الافلة «تغرب في عين».. فواحسرتاه.

التقدمي والرجعي!

○ بعد تجربته المريرة في الفكر السياسي خرج بقناعات خاصة به فيما يخص مقولة التقدمي والرجعي في الفكر الانساني، قال:

ـ غالب ما يسمى بالتقدمي هو تقهقري الى حد القرف لانه في المعتاد عبارة عن دق طحين اصبح تاريخياً. ان الراسمالي الاخرس الذي لا يكتب ولا يتظاهر ولا يهتف يكون اقوم واكرم عشر مرات من التقدمي الذي يدعو الى هدم ما بناه ذلك الاخرس. والمزارع الثري الذي يحيي الارض الموات التي قُضيَ عليها ارسخ جذراً في الوطنية والانسانية من كل التقدميين واليساريين الذين يتشنجون وتجحظ عيونهم بالهتافات الجوفاء الرعناء.

ان فيصل التفرقة ليس الانتماء الجزافي الى اليمين اواليسار ولكنه الانتساب الى المنحى البناء والمنحى غير البناء من عائق وراكد وهادم.. والبناء ليس لغزاً او احجية غير مفهومة فنحن نعلم ان سويسرة تبني وان العالم الثالث، في اغلبه يهدم، وان شحذ الخلاف عن طريق الايمان بفاعلية (التناقض) انسياق مع وهم بالغ الضخامة حكم بتخلف الزراعة السوفيتية خلال ستين سنة بافتراض انعدام التناقض في المزرعة الجماعية ووجوده في التملك الفردي ووجد عندنا مجالا غريبا للتطبيق بتفليس مالك عشرة دونمات من الارض الزراعية خارج حدود البلديات في بعض قوانين الاصلاح الزراعي بوصفه واقعاً ضمن مفهوم (الاقطاع) على حين تم تعويض مالك العقار والارض ضمن حدود امانة بغداد بمئات الالوف بل ملايين الدنانير لانه واقع ضمن حدود (البرجوازية الوطنية)..

المشكل في الامر ان المنتج الحقيقي على نطاق العالم لا يعرف تدبيج المقالات بل لا يملك فراغا للتمرن عليها لكن الخالي من العمل يتصدر الصفوف بافلاسه وعطالته ونعراته العنترية المزلزلة وفي كفه تعويذة لا تخيب وهي اليسارية والثورية والشعارات الجذرية الحدية.. ية.. ية.. الخ

مسعود محمد متأملاً في بيته

قراءة باشتراط!

○ لمن يقرأ مسعود محمد.. اي الادباء اعجب به، كان ينظر الى مكتبته ويعطي انطباعاً:

ـ اقول ابتداء اني اقرأ كتباً مهداة او مستعارة فمالي قدرة على متابعة ما ينشر وملاحقة المعروض منه في المكتبات وله قصة اعفيك من سماعها. وانا اقرأ اي شيء كتب بعمق وبأخلاص واقرأ التافه الذي فيه شيء جديد علي. ما كان من الكتب او عموم التأليف في عموم الثقافة وسطاً او دون الوسط لا احتمله الا عند الضرورة القصوى. اماالفن مضافاً اليه الشعر بما فيه من الناحية الجمالية فاشترط فيه استكماله للشكل اولا لانه هو المطلوب بالدرجة الاولى تم تأتي الموعظة او المضمون فقد اقبله انا وترفضه انت. لقد قال محمود حسن اسماعيل في قصيدة (هكذا قالت بعي):

ساقني القوت وساقتكم الي
شهوات
جذبتكم للهوى من شفتي
جمرات
الهبت حمرتها من رئتي
زفرات
هي في شرعكم الجاني على
صبوات
وهو لحن الزاد غنته لدى
قبلات

فانا استسيغ السبك والموسيقى وحرارة الشاعر في هذه الابيات ولكني اخالفه في ان يكون غالب السبب في البغاء هو الجوع. ولا اصدق ان تكون الشبعانة الكسيانة المليانة فوق مستوى التبذل في كل الاحوال..

فانا اذاً قارىء كتب لكل الكتاب ومستمرىء فن لكل الفنانين بالشروط المذكورة فيما تقدم.

الصواب والخطا في التلفزيون

○ وتركته ناقداً ومعالجاً: الاذاعة والتلفزيون

ـ اقسى المحن في التلفزيون عدم تقيده بالمناهج وتبديل فقراتها حسب مزاج المتصرف فيها بتجاهل مطلق لمزاج ملايين المشاهدين ترى ما الجدوى لاي برنامج اذا قدم باسلوب يكرهه الناس

ومن العيوب البارزة عرض مادتين متماثلين في القناتين في وقت واحد. ومن عيوبها طغيان الرياضة بصورة مبالغ فيها فلتحصر بالقناة الثانية، ومن عيوبها شغل حيز كبير ببرامجه بالاغاني الطويلة لاسيما في مواد السهرة، ان فرض مطرب او مطربة لساعة كاملة على من يرغب ولا يرغب شيء لا يحتمل، ومن عيوبه حشد برامجه بالافلام الامريكية الخفيفة التي لا تمتاز بشيء.. السهرات ينبغي ان تمتاز بمستوى اناس يقضون آخر جلساتهم في رؤية الشي المثير.. عامة التمثيليات العراقية مرتجلة وبعض مسلسلاتها جيد. وكان (حامض حلو) ضربة باهظة على اعصاب المتفهم لمعنى الفن (تحت موس الحلاق) هبطت في ظهورها اللاحق الى الحضيض. لا أجد مساحة، اي مساحة لظهور الاشخاص البارزين في حقول العلم والثقافة كما اجدها لعازف الربابة.. لماذا اختفى برنامج سيرة وذكريات؟

لغة المذيعين (والمذيعات بوجه خاص) ضعيفة حتى ان قراءة ما هو مكتوب بشكل صحيح امر ينوؤن به ولم نجرب ثقافاتهم حتى نقول فيها شيئاً..

حرية الكاتب!

○ قال هذه وجهة نظري في الحرية، خذها وجهة نظر من وجهات النظر الكثيرة:

ـ بعد افتراض وصول الكاتب الى مرتبة في النضج يمكنه من فهم الحرية ومقامها في الصالح العام والخاص وفي الكرامة العامة والخاصة يأتي الجواب عن السؤال المطروح في بساطة القول بما يفعله الكاتب مع طبق الحلوى او غطاء الفراش او جهاز الراديو او فرشاة الاسنان او اي شيء آخر من استعمالاته اليومية في الاعتناء به وصونه من التلف واستعماله بالطريقة الملائمة والذود عنه ضد الغضب وعدم التعسف في ازعاج الآخرين به مع ملاحظة ان الحرية الصق بانسانيته وادل عليها واعون على تمامها واقوى على حفظها وارحم به وباولاده وببني جلدته وبالبشرية عموماً من الباذنجان وفستق العبيد وقنينة الفاز وخاتم الماس ولا قيمة اصلاً لكتابة يلبس صاحبها فرو السمور ويكتب بالقلم الذهب على طروس النضار في حرية مثلومة.

واخيراً

اعترف اني حذفت شيئاً قليلاً من كلام مسعود محمد في حواره هذا، لانه كان يمس به حرية آخرين يخالفونه في الرأي والمنهج في اكثر من معنى من معاني الكتابة وحرية الكتابة، وما عدا ذلك، فأرى ضرورة ان نستمع اليه في هذا الحوار، بمودة كبيرة، اذ هو ما كان في هذا الحوار الا اجتهاداً من اجتهاد، في ان تبنى الثقافة بناءً سليماً يرضي نزعة الخيرين الى ثقافة رصينة ترقى الى مستوى الوعي التاريخي..

هل رأيتم كيف تقفز الكلمات

عبدالستار ناصر

هل رأيتم كيف تقفز الكلمات ؟ انها تركض وتسبق كاتبها الى جو المعركة ، والى دنيا النصر ..

من حقها أن تقفز ، ذلك ان الكلمات مثل سواها ، تريد أن تشارك في النصر ، تريد أن تصنع بيتها وأبطالها وقلاعها وساترها الملتهب ..

لاخير في الكلمات الساكنة المحنطة ، والجالسة في قمقم الراس ، لاخير في الحروف والنقاط التي لاتصبح بندقية ولا رصاصاً في حزام الدوشكا .

انها الآن أسرع مني ، تريد أن تقول كل شيء بسرعة ، وأنا أرجوها الصبر ، هناك متسع من الوقت ياسيدتي الكلمة .. لكنها تقفز من مكانها ، تترك السطور والاوراق البيض ، وتمشي أسرع مني .. قلت لها : لانفع فيك ياسيدتي الكلمة إذا لم البسك الثياب المناسبة وأجلسك البيت المناسب ، وثيابك النقاط والحروف ، ومنزلك السطور والاوراق البيض ..

لكنها تسابقني وترفض ان تصغي إلي .

أحب الكلمات التي تعرف أين تمضي ، فهي تلبس ثوبها وهي في الطريق ، سيدة مهذبة ورصينة .. أعبد الكلمات التي تفهم خارطة المكان ، وتدري أين الجبهة وأين يعيش الرجال .

وهاهي ، مازالت ، كما عرفتها منذ صباي ، أسرع مني ، تقفز ، كأن نبضها صار يزداد ضرباً على حجاب القلب .. لكنها تركض نحو «حجابات» أخرى وتسكن بين الخنادق وتصرخ : الله اكبر ..

كنت إذا ماسمعتها تصرخ «الله اكبر» ابكي فرحاً ، فقد آمنت ان سيدتي الكلمة كانت على حق لما كانت أسرع مني ..

إنها على حق ، حين كانت تقفز من بين أصابعي ، فهي تريد أن تصنع جبروتها ومعاركها ، وترفض أن تسكن في قمقم الراس ، محنطة مثل مومياء ..

إنها تجمع حروفها بنفسها ،